

التعالق المعرفي لحدود الحجاج

من التشاكل الاصطلاحي الى التداخل المفاهيمي

Chaining the cognitive edges of argumentation
Between terminological similarities and conceptual interference

1 الباحث: صديقي عيسى*

جامعة عبد الحميد بن باديس _ مستغانم (الجزائر)، aissaseddiki218@gmail.com

2 : أ.د. بلقاسم إبراهيم

جامعة عبد الحميد بن باديس _ مستغانم (الجزائر)، brabel1959@gmail.com

تاريخ الارسال 2023/01/15 تاريخ القبول 2023/05/01 تاريخ النشر 2023/09/30

ملخص:

يحاول هذا المقال أن يعطينا مفهوما محددًا للحجاج والبلاغة الحديثة معا مبرزا في ذلك كله تلك العلاقات القائمة بينهما كما نبحث أيضا في هذا المقال تلك التطورات الحجاجية في معية علم البلاغة المعاصرة، وما وصلت إليه البلاغة الحديثة من توائم وتناغم مع حضن وسند مسماه "التداولية" إن المتأمل في المسالك المفهومية التي عرفها مؤدى الحجاج بدءا بمراحل تشكله التي تساوقت مع المباحث التأسيسية الأولى للمنطق، حيث تعالق مفهوم الحجاج مع الحدود التي يؤديها المنطق في باب الإقناع والبرهان عبر إجراءات عقلية محضة في نحو الاستدلال والاستقراء، حيث انتقل ذات المفهوم إلى كافة الحقول الفكرية الأخرى، انتهاء إلى المنعطف الذي أحدثته الفلسفة التحليلية وظهور مفهوم اللغة الطبيعية مقابل اللغة الصناعية بوصفها حجة قائمة في ذاتها، فأخذ الحجج مفهوما جديدا ينهض إلى عدد إجراءات تنهض على القواعد اللغوية التي تحكم نظام التخاطب.

الكلمات المفتاحية: البلاغة، الحجاج، التداولية، الخطاب، المقصدية

Abstract :

This study attempts to give us a precise concept of argumentation and modern rhetoric, highlighting in all this the relationships that exist between them. Whoever meditates on the conceptual paths known by the interpreter of pilgrims, starting from the stages of its creation that coincided with the first founding investigations of logic, where the concept of pilgrims was interrelated with the limits that logic operates in the field of demonstration by purely mental processes in the sense of inference and induction, where the same concept has moved in all fields of research, in particular the human sciences, until the culmination of the turning point operated by analytical philosophy and the emergence of the concept of natural language versus industrial language as a standing argument in itself, so that the arguments took on a new concept that amounts

* المؤلف صديقي عيسى

to a procedural number based on the linguistic rules that govern the system Communication.

Keywords: rhetoric, argument pragmatic; speech; intentionality

1. مقدمة:

لقد عرف الانسان الحجاج، كما عرف الحوار والمناظرة. ومنذ ظهور هذا في حياته بدأت تتطور لديه أساليب الكلام وآليات الإقناع. فكلما ازدادت الحياة تطورا ازدادت تعقيدا، وازدادت معها نقاشات الإنسان وحواراته، وراح يتأرجح بين دواليبها فيتنقل من ساحة مؤيد إلى دائرة معارض، وقد نجم عن هذا الأخير دفاع كل طرف على قناعته واستماتته من أجلها، كما أنه راح يستعمل أبرع الأساليب وأقوى الوسائل اللسانية لكسب جولة الإقناع عند الطرف الآخر. بعيدا عن هذا كله عن التعنت والغوغائية واقفا بمنأى عن الإكراهات المعيارية¹ والتي تُخل بإنسانيته وتُفسد أواصر أخوته.

إن هذا الأسلوب وهذه الآليات الإقناعية هي ما أصبح مسمى عندنا اليوم بالحجاج، فما هو الحجاج؟ وما هي ماهيته؟ إن الباحث في مضنات الموضوع ليجد نفسه أمام كم هائل من التعريفات اللغوية والاصطلاحية للحجاج فما هو الحجاج لغة؟

2. مفهوم الحجاج

1.2 لغة:

لقد ورد هذا المعنى في لسان العرب لابن منظور حيث قال إن: (الحجة هي البرهان، أو ما دُوفع به الخصم، وتجمع الحجة على حُجَج وحجاج، فنقول حاجه محاجة وحجاجا أي نازعه الحجة، والحجاج هو التخاصم، والرجل المحاجج هو الرجل الجدِل. وإما الاحتجاج فمشتق من احتج بالشيء أي اتخذ حجة ويقال أنا حاججته فأنا محاجه وحجيجه أي مغالبه لإظهار الحجة التي تعني الدليل والبرهان)² ولقد وردت هذه اللفظة في القرآن الكريم مرات عديدة منها قوله تعالى: (قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ)³

2.2 اصطلاحا:

إن الحجاج هو ذلك الخطاب الذي يسعى إلى تعديل أو تثبيت موقف ما، أو تقويم سلوك معين لدى المتلقي وذلك بالتأثير فيه من ناحية الخطاب سواء أكان ذلك المضمون الخطابي يغترف من معين العقل أم من معين العواطف والانفعالات⁴. انه لمن الواضح جدا أن هذا التعريف المختصر يفيد أن للخطاب الحجاجي غرضا أساسيا هاما، هذا الغرض هو التأثير المباشر على وجه التحديد في المتلقي. كما يظهر لنا أيضا من خلال هذا

التعريف، إن للحجاج حداً خاصاً ومحدداً وهو الذي بينه الأستاذ طه عبد الرحمن حيث قال: (حد الحجاج كل منطوق به موجه إلى الغير 'لإفهامه دعوى مخصوصة يحق له الاعتراض عليها...')⁵

إن الحجاج كلمة لغوية قديمة المنشأ تعرّف عليها الإنسان منذ الأزل. ولذا فقد اكتنفتها مناح فلسفية دارت حول حقيقتها وحول ذات الإنسان، هذا التداول في الأدوار نجم عن كونه المؤثر والمتأثر. ومنه يمكننا القول إن الحجاج عملية متداخلة. القصد من ورائها توجيه خطاب مقصود من مخاطب قاصد إلى متلق مقصود، هذه العملية الاجرائية بغيتها تقويم سلوك أو تعديل اعوجاج في رأي.

لقد عبر عن هذا المعنى محمد العبد حين قال: وهو طائفة من تقنيات الخطاب، والتي يُقصد منها استمالة المتلقين إلى القضايا التي تُعرض عليهم، أو إلى زيادة درجات الاستمالة. إننا نعيش هذه العملية -أي العملية الحجاجية- في حياتنا اليومية بتفاوت مستديم فمرة يُستعمل علينا الحجاج كمتأثرين، ومرة نستعمله على غيرنا كمؤثرين. والماورائية منه أي من الحجاج هو بناء جسر من الإقناع والتأثير، وذلك على مستوى الأفكار والمعارف معتمدين في ذلك كله على الدليل والحجة والبرهان.⁶

إن هذه العملية الفاعلة والتأثيرية لتستند في فعلها هذا على عناصر متباينة، كما بين هذا خليفة بوجادي في كتابه اللسانيات التداولية حيث قال: (... والعناصر غير اللسانية المشاركة في التعبير والتي لها علاقة مع محل الجملة، هي النواة...)⁷

ولذا فالغاية القصوى للمخاطب أمام المخاطب، أو بالأحرى المرسل أمام المرسل إليه هو الإقناع وتقديم الحجة له. وهو ما يسعى دوماً إلى تحقيقه الطرف الأول.

نرجع فنقول إن الحجاج عُرف في ساحة المعارف الإنسانية، بل وبالأحرى طرحته البلاغة الجديدة كثمرة استوت على جودها منذ القدم. فهي الباحثة أمينة الدهري تثبت هذا موضحة بكلامها ذلك المعنى الجوهرى للحجاج فتقول: (إن البلاغة الجديدة تطرح الحجاج 'عائدة به إلى قديم معارف البلاغة الغربية الكلاسيكية وذلك من منعطفات كبرى خلال تاريخها الطويل، تغير على امتداده مفهومها بفعل ما أملتته ضرورات مجتمعية وسياقات فكرية وثقافية، وتصورات فلسفية للكائن (الحي) في علاقته الإشكالية بذاته وباللغة التي هي إحدى طرائق تواصله مع العالم)⁸

إنه لمن الواضح جداً أن هاته النظرية الحجاجية التي أسس لها منذ أمد بعيد فيلسوف اليونان أرسطو قواعد عقلية وركائز معرفية، هو الشيء ذاته الذي ساهم في طول بقائها واستدامة حياتها وديمومة تجددتها وما ذاك إلا لارتباطها الوطيد بالإنسان، فمادام هذا الإنسان موجود فالحجاج ثابت الوجود، لأنه قوام العملية التواصلية. إننا نكاد نجزم مسلمين أنه لا تواصل بين المجتمعات الانسانية بدون حجاج.

لقد تحقق لدينا أن الحجاج هو ذلك الرابط الوثيق الذي يوطد العلاقات الإنسانية ويقرب في ما بينها وبين وجهات نظرها المتباينة، كما أنه ومن خلال هذه الإيضاحات وهذه الطروحات نتوصل إلى إبراز تلك العلاقة التاريخية القائمة بين البلاغة والحجاج بل نُقَدِّم على استنطاق تلك العلاقة القائمة بينهما. لكن وبكل موضوعية لنا أن نطرح تساؤلاً مفاده، هل هذه العلاقة القائمة والجادة بين أطراف الخطاب هي علاقة تداخل أم علاقة احتواء؟

إن الإجابة على هاته الأسئلة وغيرها ستكون إجابة مؤسّسة على منهجية علمية وذلك من خلال ما سلّط على المدرستين الغربية والعربية من أبحاث متعلقة بهذا المجال. فنبداً ونُعَرِّج على الجانب التراثي للحجاج في المدرسة الغربية القديمة.

3.2 . الحجاج في الثقافة الكلاسيكية الغربية:

إن الحقيقة التي لا مرية فيه أن الحجاج ليس وليد عصرنا الحديث، بل هو قدم قدم الإنسان ولسانه وفكره، ولقد عرف الحجاج استعمالاً عند اليونان والإغريق والهنود بل كان عندهم من الأهمية بمكان. فظهر ذلك بجلاء في خطاباتهم ومناسباتهم، لذا فإن الباحث محمد الولي تعرض له ولحطاته في كتابه تاريخ البلاغة الغربية فقال: (...إننا نستطيع بشيء من التعميم أن نميز في تاريخ البلاغة الغربية الحجاجية بين ثلاث مراحل فاصلة، -أ- المرحلة الأولى يمثلها أفلاطون، -ب- المرحلة الثانية يمثلها أرسطو، ج والثالثة يمثلها شاييم بيرلمان)⁹

إن أرسطو غاص في هذا الأخير وأجهد الفكر في البحث فيه، حيث اهتدى إلى وجود آليات ومباني ارتكز عليها الحجاج. فقسمها إلى ثلاثة أقسام وذلك مبنيّ وجوداً على حسب الخطاب في ذاته والمخاطب، والمخاطب. ولقد حدد له مصطلحات اختصاصها به هي: (الإيتوس) و (الباتوس) و (اللوغوس)¹⁰

3. أقسام الخطاب عند أرسطو

1.3 الإيتوس:

ويهتم هذا الأخير بمتعلقات في شخصية الخطيب أو بالأحرى الباحث كما ذكر هذا محمد طوروس قائلاً: (إن الإيتوس يصف الخصائص المتعلقة بشخصية الخطيب والصورة التي يقدمها عن نفسه حال ظهوره وذلك في كل الأحوال. بل ويتكيف مع كل المقامات والمستجدات فيكون شديداً، أو مرحاً، أو عنيفاً أو مفهماً أو رحيماً أو قاسياً...) ¹¹

إن هذه الأخلاق والمواصفات المنعّمة بالقوة يجب أن تتوفر في الباحث ابتداءً فهي تمثل في نفس الآونة حججا تدعم جانبه، وقد تكون حجة عليه إذا كان يدلي برأي هو بخلاف ما هو عليه. فمثلاً لا يُعقل أن يتكلم

البات على الفضيلة وهو شرير كما لا يُعقل أن يتكلم المخاطب مع المخاطب عن الصلاح وهو فاسد طالح، ولذا فإنه يجدر بنا أن نصف الإيتوس (صفات المتكلم) بأنه هو البوابة الأولى للإقناع.

2.3 الباتوس (المتلقي أو المخاطب):

وهذا أهم ما في هذا التقسيم فهو عبارة عن توليفة من المشاعر والأحاسيس والتي يريد المخاطب أن يحركها ويزعزع مكانها في نفسية المتلقي. ولذا فالأصل في هذا المتكلم أو المحاجج أن يكون خبيراً ذا معرفة وافية بنفسيات المتلقين إذ: (أن القدرة على الحجاج الجيد تعني بدهاء القدرة على الإقناع، فهي تقتضي المعرفة الجيدة بما يمكن أن يحرك الذات التي تتوجه إليها بالخطاب ومعرفة ما يحركها.

إن باتوس الإنسان الحسود على سبيل المثال يجعل المخاطب المتلقي حساساً أمام المال الذي يملكه الآخر بل ويجعله يحس بالظلم تجاهه لأنه محروم منه. إننا نستطيع أن نؤثر فيه بلفت نظره إلى هذه الفروقات البارزة، ولعل العكس من ذلك هو الحاصل. فالإنسان السخي الكريم سيكون أقل حساسية أمام هذا النوع من الحجج¹².

3.3 . اللوغوس (حجج الخطاب):

لقد أجلي محمد طوروس هذا المعنى بقوله: (إنه يمثل الحجاج المنطقي الذي بدوره يمثل الجانب العقلاني في السلوك الخطابي، ويرتبط بالقدرة الخطابية على الاستدلال والبناء الحججي)¹³

بعد هذه التعريجات على الباتوس والإيتوس يظهر لنا في مجال الحجج أنها متعلقة تمام التعلق بما يمتلكه الخطيب من المهارات الغير اللغوية. بل متعلقها مهارات وتقنيات نفسية وذاتية يتسنى بها للمتكلم التأثير والإقناع. لذا أخفى أرسطو الاهتمام به؛ أي (اللوغوس). كما أورد هذا محمد طوروس في كتابه النظرية الحججية مؤكداً أنه: (.. قد تركه أي -أرسطو- خافياً واهتم بالحجج الخطابية، فميز فيها بين صنفين من الأدلة: أدلة تقنية وأدلة غير تقنية)¹⁴.

فالأدلة غير التقنية خاصة بالنصوص، أما الأدلة التقنية فهي خاصة بالخطاب وقدرات الخطيب وإبداعه. وأما حجج الخطاب فقد فرعها إلى ثلاثة أنواع: القياس المضمر، والشاهد والتفخيم.¹⁵

4. المدرسة الأرسطية القديمة:

إن المدرسة الأرسطية القديمة لما تناولت الحجاج تناولته بمواصفات أملاها العصر والحراك العلمي. ولكن بعد تطور العصر وتقدمه تلون الحجاج بألوان العصرنة، وخاصة بعدما أضحى نقطة لقاء بين مجموعة من المصطلحات الحديثة كالأسلوبية والتداولية وتحليل الخطاب وغيرها...، فأصبح يطلق عليه مسمى البلاغة الحديثة. ولقد تبنى هذا الاتجاه كلا من المفكرين الباحثين شايبين بارلمان و تيتيكا وذلك في فترة الخمسينيات وفي هذه الفترة أصبحت البلاغة الجديدة عبارة عن مجموعة من المحاولات تبنت وحملت في طياتها بعث البلاغة

الأرسطية. بعدما عانت هاته الأخيرة جمودا وركودا كبيرين فألف - ش بيرلمان - كتاب سماه: "رسالة في الحجاج"، وللتذكير فقد اختُلف في مسمى الكتاب فذكر بعضهم تسمية أخرى بدل من الأولى للكتاب ألا وهي "منطق في الحجاج" والخطابة الجديدة بدلا من الأول. إن بيرلمان أسس في الكتاب للحجاج مخططا توضيحيا.

كان قد رسم فيه بيرلمان-معالم جديدة لمبنى جديد لنظرية الحجاج. بالرغم من أنها لم تنبثق ولم تخرج من العدم بل هي في الحقيقة تمثل ذلك الامتداد العريق والمتجدد للبلاغة الأرسطية رغم وجود كثير من محطات الاختلاف. وهذا ما يعضده رأي صابر الحباشة وجنح إليه قائلا: (إن البلاغة الجديدة تواصل لبلاغة أرسطو، من حيث توجهها إلى جميع أنواع السامعين. فهي تختص بما يسميه القدامى بفن الجدل، أي طريقة النقاش والحوار عبر الأسئلة والأجوبة، والاهتمام لها بالمسائل الظنية".¹⁶ وهو ما حلله أرسطو في كتابه: "الطويقا".¹⁷

لقد أضاف ش بيرلمان - و - تيتيكا - على الدرس الحجاجي آلية جديدة. هذه العملية قاما فيها بنزع سيطرة الاستدلال والبرهنة التي تمارس على المتلقي من قبل المخاطب، والتي تجعله يعايش خضوعا واستلابا فكريا مما جعل كثير من أهل هذا الاختصاص يُقرّون هذا الأخير. إن محمد الولي في كتابه الاستعارة في محطات يونانية يقول: (إن هذا الوضع القاتل للبلاغة وانطلاقا من العقلانية، أو من التجربة على حد سواء. ليجعلنا نُقر ونشهد أن انقياد الديمقراطية وصعود المسيحية، هو الذي جاء بمشروع بيرلمان البلاغي، وأقامه على أنقاض الاتجاهين الفلسفيين السالفين. بل ما كان لمشروع بيرلمان أن ينجح لو لم تكن التربة خصبة والفرصة مواتية لانبعاث البلاغة".¹⁸

والحقيقة ان ما تميز به بيرلمان في كتابه بلاغات (Rhétoreques) هو عدم تنكره للبلاغة الأرسطية القديمة على عمومها حيث قال: (إننا لا نعتقد عكس ما ذهب إليه أفلاطون وأرسطو وكيثيتيليتان، فهم يحاولون أن يعثروا في البلاغة على استدلالات هي على شاكلة استدلالات المنطق)¹⁹ وهذا الأخير هو ما جعل البلاغة الحديثة تتميز بل وتخطّ لنفسها مسارا حديثا ومنهجيا علميا قويا، وخاصة أمام نسقية تلك الفلسفات المنظرة، وقوة ورسالة الإيديولوجيات الحديثة المعاصرة. ولقد تبنت هاتهما الأخيرة بدورها آليات مقنعة تميزت بالجدية والجدّة، حتى أصبحت تمثل قناعات جادة على شتى الأصعدة بل قل أنها تغلغت في أوساط العامة والدهماء فضلا على تلقي صداها بين أوساط الطبقات المثقفة والمتنورة.

إنه وما لا شك فيه أن هذا المنعطف الذي عرفته البلاغة ناجم عن إعادة مُسائلة المجتمع لمسلّماته، وذلك من خلال علاقتها بالواقع والمُتخيّل مما دفعها إلى خلق وضع جديد تمثّل في عقلنة أدواره ومجالاته.²⁰

إن التوجه البلاغي عند بيرلمان والذي تمثّل حقيقةً في معنى خدم به الدرس البلاغي المُخاطَب أي - المتلقي- بشكل قوي وصريح، قالت عن هذا المعمل البلاغي الباحثة **أمينة الدهري**: (البلاغة الحجاجية عند بيرلمان ليست قصراً على الصور المجازية، ولا برهنة ديكراتية صارمة، بقدر ما هي عقلانية خارج الأنظمة الصورية للعلم، واحتمالية دون تضليل. هدفها دراسة التقنيات الخطابية، التي من شأنها أحداث أو زيادة موافقة الآخرين على الأطروحات المقدمة اليهم بقصد قبولها...²¹)

إن هذا التصور البلاغي عند **بيرلمان** قد أحدث في الشق اللغوي الجدلي انتقالاً نوعياً (من /وإلى) حيث أراد **بيرلمان** أن ينقل اللغة من شقها الجدلي إلى قطب تصوره، حيث جعلها محطّ مشروع تأمليّ مفصل، به اعتبر الحجاج خطاباً ذا استدلال منظم باحث عن منطق للقيم ومتوجه إلى مستمع كوني. ثم إنه في الشق الآخر سخرها لاستجلاب مؤازرة الآخرين والتي لا تتم إلا داخل فضاء تفاعلي²².

إن بيرلمان يعتمد في هذا التفاعل المؤسس على مراعات الآخر، وعلى تقديس اعتبارات الطرف المقابل أي المتلقي وذلك من أجل أنه يعتبر أن الحجاج عملية متناسقة متسقة ذات صلة ذاتية وثقافية واجتماعية مع الآخر.

لقد أثرت هذه التوجهات الجديدة من أسلوبية وبنوية وغيرها في الواقع الإنساني، فأنتجت لنا تنوعاً كبيراً دعم من خلاله البلاغة الحديثة فكان هذا الأخير مدعاة إلى إحداث تجديد نوعي في خطابية البلاغة. إلا أنه وبالرغم من هذا المكتسب الدائم المخز عليه في هذا المجال كان لزاماً على البلاغة أن تبحث لها عن تكيئة تستند عليها، هذه التكيئة ماهي إلا لأجل تجديد طاقتها وحيويتها النقدية والتي تقوى بها على منافسة ومواجهة المناهج النقدية واللغوية الحديثة. وهذا الذي حدث حقيقة في منتصف القرن الماضي. بعدما تأكدت الموازنة بين البلاغة والتداولية حيث رأت هذه الخطوة البلاغية أن التداولية هي ذلك الحضن القوي والسند القويم لها، والذي بإمكانه إحداث ثورة مؤثرة في المجال الخطابي، وبه يتم تحقيق منهل جديد يدعم الدرس البلاغي. علماً إن زاد في دعم هذا الاختيار البلاغي هو اعتراف **ليتشه** بهذا الأخير، حيث قال **صلاح فضل**: (إن البلاغة تداولية في صميمها، إذ أنّها ممارسة الإتصال بين المتكلم والسامع بحيث يخلّان إشكالية علاقتهما، مستخدمين في ذلك وسائل محدّدة للتأثير على بعضهما).²³

ولقد ازداد هذا الموقف قوة دعم الباحث الألماني **لوسبرغ** له برأيه، والذي أظهر فيه هذا التوافق والتوائم الجديد؛ الذي أحدثته البلاغة مع التداولية؛ حتى أن **صلاح فضل** قال: (إن لوسبرغ رأى أن البلاغة نظام له بنية من الأشكال التصويرية واللغوية يصلح لإحداث التأثير الذي ينشده المتكلم في موقف محدد).²⁴

وعلى هذا الموقف تحديداً اتخذت البلاغة لنفسها مساراً جديداً، قدّمت به نفسها للساحة البلاغية أنّها نظرية تحمل في طياتها المقاصدية التداولية والتي تُعنى بالخطاب من منطلق أنه رافد خارجي له خصوصياته وآليات

تتوائم معه ، بل بالأحرى هو فعل يفترض وجود فاعل مؤثر يُحدث معه تلك العلاقة المتناغمة والمؤسّسة ابتداء من الحوار المتبادل . الغائية من ورائه التوصل إلى إقناع واقتناع . وعليه يمكننا أن نقول إنه بالإمكان أن نُدلّف إلى نتيجة منطقية منطلقها تداولي، وذلك اعتمادا على ما قاله فرانسو أمريكو : (إن البلاغة التداولية تجيب على جملة من الأسئلة هي : من يتكلم ؟ وإلى من يتكلم؟ وماذا صنع حين ما يتكلم؟ وماذا تقول بالضبط حين تتكلم؟ وماذا علينا أن نعلم حينما يرتفع الإبهام عن جملة أو أخرى؟ وكيف يمكننا قول شيء آخر غير ما كنا نريد قوله؟ وهل يمكننا الركون إلى المعنى الحرّفي لقصد ما؟ وماهي استعمالات اللغة؟ ... إلى غير ذلك من الأسئلة الكثيرة (...)²⁵

من خلال هاته الأسئلة التي تقوم بطرحها التداولية واعتمادا على مسائلات المدرسة التداولية المقررة على الساحة الفكرية والنقدية فإن الفيلسوف طه عبد الرحمن ساهم بدوره في هذا الطرح فقال: (إن كل منطوق به يتوقف وصفه بالكلام ، عليه أن يقتزن بقصد مزدوج يتمثل في تحصيل الناطق لقصد التوجه بمنطوقه إلى الغير، بل ويقصد إفهامه بهذا المنطوق معنى ما . فاعرف أن المنطوق الذي به يصلح أن يكون كلاما هو الذي ينهض بتمام المقتضيات التواصلية الواجبة في حق ما يسمى خطابا)²⁶

لقد رأى طه عبد الرحمن ان هذا الخطاب المنطوق في حالة توجهه للغير، وتكون القصدية منه إيصال مفهوم محدد، أو معنى مقصود هو القصد من هذا التوائم التداولي، فقال: (...إن حد الخطاب كل منطوق به موجه إلى الغير لغرض إفهامه مقصودا مخصوصا ...)²⁷

ومن ثم فإن حقيقة الكلام لا تبيّن من تحقق لفظه وظهوره في مدرجات السياق اللفظي، وإنما تبرز في تلك العلاقة التخاطبية التي تُحدث تناغما بين المتخاطبَيْن، فينجر عنها تحرر عقلي من فكرة كانت قد رسخت أو سترسخ في ذهنية السامع .

فلا كلام من غير تخاطب ولا متكلم من غير أن تكون له وظيفة المخاطب (بكسر الطاء ولا مستمع من غير أن تكون له وظيفة المخاطب (بفتح الطاء).

لقد جرى نهر البلاغة مجاري متفرقة، ولا شك في أن هذ التوائم الذي حدث بين البلاغة والتداولية حدّد لها تصورا معرفيا جديدا، حيث أزال عنها ما علق بها من مفاهيم قديمة . فترواحت بين العقلانية النسبية ، والبرهنة الصارمة ، والجمالية الأدبية ، والاحتمالية التعددية²⁸ .

كما بقي هذا التوجه البيروماني التيتيكي ردحا من الزمن حتى ظهر "تولمين" بكتابه (**The uses of argument**) " الاستعمالات الحجاجية" وكان تولمين هذا يذهب إلى غير ما كان يذهب إليه بيرلمان، وقد أشارت الى هذا الباحثة أمينة الدهري بقولها : (إن حافزه -أي تولمين- البحث عن منطوق طبيعي ينسخ

المنطق الصوري. فبلاغته تستظل بظل المنطق، وإن كانت تأبى التقيّد به. في ما اقترحت جماعة (مو) مقارنة بنيوية للصور البيانية أسمتها "بلاغة عامة" وكان ذلك عام (1970) ومُخَوِّرت مشروعها حول نوعية اللغة الأدبية وجعلتها موضوع دراسة كاملة)²⁹

4. خاتمة:

مّا نخلص إليه في منتهى هذه التطوافة الماتعة أن: اختلاف التصورات التي أفرزتها تلك التنظيرات والتوجهات الفلسفية، وبالرغم من التباعد الزمني بينها والتباين في المقاصد لا يمكن ان تحجب عن الصورة الحقيقية للبلاغة. لأن الصورة البلاغية الحقيقية والتي ينشدها الوسط الخطابي، وبالأحرى يرمي إلى تحقيقها المتكلم في معية المستمع هي الحصول على حدي البلاغة، هاذين الحدين -هما الإمتاع والإقناع -.

)

5. قائمة المراجع:

القرآن الكريم

1. ابن منظور، لسان العرب، دار صادر بيروت، د.ت، د.ط
2. أمينة الدهري : الحجاج وبناء الخطاب في ضوء البلاغة الجديدة ، شركة النشر والتوزيع المدارس الدار البيضاء . ط 1 2011.
3. خليفة بوجادي : اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم ، القاهرة.
4. صابر الحباشة : التداولية والحجاج مداخل ونصوص ، أنوار للنشر والتوزيع الإصدار الأول ، 2010
5. صلاح فضل : بلاغة الخطاب وعلم النص سلسلة عالم المعرفة ، ع 164 1992 ، مطبعة السياسة الكويت
6. طه عبد الرحمن : اللسان والميزان أو التكوثر العقلي ، المركز الثقافي العربي ، ط 11 ، 1998.
7. فرانسوا آرميكو : المقاربة التداولية ترجمة سعيد علوش مركز الإنماء القومي ، بيروت لبنان.
8. ماضوي فضيلة: الإقناعية وآلية الحجاج في خطب علي ابن أبي طالب ، دراسة تداولية رسالة ماجستير ، جامعة سطيف ، 2005
9. محمد العمري : بلاغة الخطاب الإقناعي مدخل نظري لدراسة الخطابة العربية في القرن الأول أمودجا ، إفريقيا المغرب . ط 2 ، 2002.
10. محمد الولي : مدخل إلى الحجاج أفلاطون وأرسطو وشام بيرلمان ، عالم الفكر . ع 2 . مجلد 40 . أكتوبر ديسمبر 2011
11. محمد العيد : النص والخطاب والاتصال . الأكاديمية الحديثة للكتاب الجمعي القاهرة . 2005

12. محمد طوروس : النظرية الحجاجية من خلال الدراسات البلاغي المنطقية واللسانية ، دار الثقافة للنشر والتوزيع ، الدار البيضاء ط1 . 2005
13. ناصر سطمبول: تداخل الأصوات في الخطاب الشعري المعاصر لجزان – مجلة فصل الخطاب . تصدر عن جامعة ابن خلدون تيارت . مجموعة 3 – ع 09 . مارس 2015
6. الهوامش:

- ¹ – ناصر سطمبول : تداخل الأصوات في الخطاب الشعري المعاصر لجزان – مجلة فصل الخطاب . تصدر عن جامعة ابن خلدون تيارت . مجموعة 3 – ع 09 . مارس 2015 . ص 07 .
- ² – ابن منظور، لسان العرب، دار صادر بيروت، د.ت، د.ط، مج 02، ص 226
- ³ – سورة الأنعام . الآية 149
- ⁴ – محمد العيد : النص والخطاب والاتصال . الأكاديمية الحديثة للكتاب الجمعي القاهرة . 2005 ، ص 188
- ⁵ – خليفة بوجادي : اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم ، القاهرة ، ص 86
- ⁶ – أمينة الدهري : الحجاج وبناء الخطاب في ضوء البلاغة الجديدة ، شركة النشر والتوزيع المدارس الدار البيضاء . ط 1 2011/ ، ص 4 .
- ⁷ – خليفة بوجادي : نفس المرجع السابق . ص 86
- ⁸ – محمد العبد : نفس المرجع السابق . ص 188
- ⁹ – محمد العمري : بلاغة الخطاب الإقناعي مدخل نظري لدراسة الخطابة العربية في القرن الأول أمودجا ، إفريقيا المغرب . ط 2 / 2002 ، ص 40 .
- ¹⁰ – محمد الولي : مدخل إلى الحجاج أفلاطون وأرسطو وشلم بيرلمان ، عالم الفكر . ع 2 . مجلد 40 . أكتوبر ديسمبر 2011 ، ص 17 .
- ¹¹ – طه عبد الرحمن : اللسان والميزان أو التكوثر العقلي ، المركز الثقافي العربي ، ط 11 ، 1998 ، ص 226
- ¹² – محمد الولي : الاستعارة في محطات يونانية وغربية ، عالم الفكر ، ص 347
- ¹³ – نفس المرجع السابق ، ص 30
- ¹⁴ – محمد طوروس : النظرية الحجاجية من خلال الدراسات البلاغي المنطقية واللسانية ، دار الثقافة للنشر والتوزيع ، الدار البيضاء ط1 . 2005 ص 18
- ¹⁵ – نفس المرجع السابق . ص 18
- ¹⁶ – نفس المرجع السابق ، ص 19
- ¹⁷ – ماضوي فضيلة: الإقناعية وآلية الحجاج في خطب علي بن أبي طالب ، دراسة تداولية رسالة ماجستير ، جامعة سطيف ، 2005 ، ص 34 .
- ¹⁸ – صابر الحباشة : التداولية والحجاج مداخل ونصوص ، أنوار للنشر والتوزيع الإصدار الأول ، 2010 ، ص 15 .

- 19- نفس المرجع السابق ، ص 15
- 20- محمد الولي : الإستعارة في محطات يونانية وعربية وغربية ، ص 359
- 21- محمد الولي : مدخل إلى الحجاج أفلاطون وأرسطو وشايبين بيرلمان ، ص 34
- 22- أمينة الدهري : الحجاج وبناء الخطاب في ضوء البلاغة الجديدة ، شركة النشر والتوزيع المدارس، الدار البيضاء، ط 1/ 2011 ، ص 6
- 23- نفس المرجع السابق ص 6
- 24- نفس المرجع السابق . ص 98
- 25- فرانسوا آرميكو : المقاربة التداولية ترجمة سعيد علوش مركز الإنماء القومي، بيروت لبنان ، ص 7
- 26- صلاح فضل : بلاغة الخطاب وعلم النص سلسلة عالم المعرفة ، ع 164 1992، مطبعة السياسة الكويت ، ص 97 و 98
- 27- نفس المرجع السابق . ص 97
- 28- طه عبد الرحمن : اللسان والميزان أو التكوثر العقلي ص 215
- 29- صابر حباشة : التداولية والحجاج . ص 11